بقلم : اريسكين كالدويل

ترجمة :

صفية عبد الجواد وكروي

كانت مسز جارلي تجلس متصدرة مائدة الطعام تشرب القهوة وتقرأ الجرائد بعد تناول الافطار عندما سمعت صوت أحد الاطفال يبكي ويتحطم على أرضية المطبخ . كانت تجلس وحيدة في الحجرة ، لقد تناول الزملاء الطعام وانصرفوا وكذلك صادر مستر جارلي المنزل .

وعندما جرت السيدة جارلي الى المطبخ ودخلت بالباب وطرت الى الداخل ، كانت ليسي ، الطفلة الزنجية الصغيرة ، ترتعد فزعا من أحد الأركان خلف الموقد .

وقالت مسز جارلي .

— اذن فقد كسرت طبقا آخر من اطباقي ! هل فعلت ؟

وأخذ عصبها يشتد ، وكلما طال وقوفها وتطلعها لليسي ، كلما ازداد عصبها واوشكت على الجنون .

— « وهكذا يصبح ما كسرته خلال هذا الشهر بالسي طبقين ، وهذا كثير على ، اكثر مما استطيع السكوت عليه . »

احدثت الطفلة الزنجية ذات التسع سنوات تتحرك بوسة بوصة بمقعدة اكثر الى ركن الغرفة . ولم يكن معروف بطلانا ما الذي يمكن ان تفعله بها مسز جارلي ثانية .

وصاحت فيها السيدة

— تعالي هنا الى وسط الغرفة بالسي ، تعالي هذه اللحظة واما اكلمك .

تقدمت الفتاة بصوت خطوات وجسدها كله يرتعد وهي ترقب مسز جارلي ، وعندما وصلت الى منتصف الطريق الى وسط الغرفة ، جرت اليها مسز جارلي وصفعتها على جانبي وجهها ، ولقد جعلتها الصفعات تدس بدوار ولا تدري أين هي او ماذا تعمل ، ولمت ذراعيها حول رأسها لتتقي الصفعات . وصاحت فيها مسز جارلي

ـ ايتها الزنجية الصغيرة القذرة !..

وقبل ان تتمكن ليسي من الهروب الى الركن خلف الموقد ، احتضنت مسز جارلي المكنسة واخذت تضربها بها بكل قوتها على رأسها وكتفيها وظهرها. وبدأت الطفلة في الصياح وارتمت على الارض وركلتها مسز جارلي وهي لاتزال ملقاة على الارض تنتحب وترتعد وصاحت بها مسز جارلي وهي تضع المكنسة جانبا .

ـ الآن ، هيا انهضي من مكانك وابدئي في تنظيف البيت ، اريد ان اجد كل غرفة من هذا المنزل نظيفة تلمع كالمرآة قبل الساعة الثانية عشرة .

وتركت المطبخ وذهبت الى مدخل البيت .

لقد شكت ليسي من العمل ، شكت من غسل الكثير من الاطباق وتنظيف العديد من حجرات المنزل . قالت انها تتعب اكثر من اللازم من تنظيفها كل يوم ، ولقد سمعتها مسز جارلي لكل كلمة تفوهت بها وقالت لزوجها .

ـ اذا هربت هذه الزنجية سأجلدها حتى لايتبقى منها شيء .

فقال مستر جارلي

ـ لا يمكنك توقع الكثير منها ، انها ليست كبيرة بالقدر الكافي للقيام باعمال شاقة كثيرة .

فقالت زوجته

ـ انك تتحدث كما لو كنت تدافع عنها ، اني اطعمها واكسيها وآويها ، واذا لم تقم بالعمل من تلقاء نفسها تأجلها انا تعرف به

وهربت ليسي . هربت ليسي وعرفت مسز جارلي انها هربت . ولقد توقعت ان يحدث هذا ، ولكنها غلبت واعتقدت انها قد اخافت الصبية بالقدر الذي يكفل بقاءها بالمنزل . لقد احضروا ليسي الى المدينة من الريف عندما كانت في الرابعة من عمرها . وطوال السنوات الثلاث الماضية قامت بكل اعمال البيت .

وقال جارلي

ـ لقد حان الوقت لتدعيها ترحل ، ان تستطيعي ان تحتفظي بها طويلا بعد ذلك دون ان تدفعي لها اجرا .

ـ ها انت ذا تعود ثانية للحديث بلباقة عنها ، اني ادفع لها اجرها طعاما وفراشا وهذا كل ما يجب ان تنال . ولن ادفع لها سنتا بالاضافة الى ذلك .

هز جارلي رأسه وهو لا يزال غير مقتنع . كان خائفا من شيء واحد ، ان تحدث بعض المتاعب اذا احتفظوا بها وقتا آخر ، فكل فرد في المدينة يعرف انهم يستغلون ليسي للقيام بالعمل ، وقد يفكر احد الاشخاص ان يسبب لهم بعض المتاعب . وزوجته تكلف الطفلة باعمال اكثر من ان يقوم بها شخص بالغ .

ـ حسنا . اريد ان تعود ليسي ، اريد أن تحضرها لي ثانية ، اريدها ثانية حتى صباح غد ، قبل وقت الافطار .

نظر جارلي الى زوجته ولكنه لم يقل شيئا ، فهو يعتمد عليها في معيشته ، فدونها هي والمنزل لا عرف ما الذي يمكن ان يقوم به ، انها تدير المنزل وتدفع « الفواتير » وعندما تكلمه بعمل شيء لا يستطيع ان يقول انه لن يمكنه القيام به.ونهض وسار في البيت متجها الى الشرفة الخلفية .

خلف المطبخ كانت توجد حجرة صغيرة ذات طول وعرض كافيين فقط لاحد شطري سرير شق خصيصا لليسي . ولم يكن بالحجرة اشياء كثيرة ، فلا شيء سوى السرير . والآن لا شيء آخر ، حتى الثوبان او الثلاثة الذين

صدمها زوجه ليسي من عهد بعيد القديمة قد انتهت . لقد هربت ليسي ولا يوجد شيء يشير الى انها تنوي العودة . لقد انتهت كل ما تملك .

وعندما رأى جارلي زوجه بعد نصف ساعة استوقفته في الردهة وبدأها في وسطها وصاحت فيه .

— حسنا ! هل تتوقع ان تجدها مختبئة تحت احد المقاعد في مكان ما في المنزل ؟

سألها

— وأين يمكنني البحث عنها ! وأني لي ان اعرف أية طريق سلكت ؟

فتابعت مسير جارلي

— وكيف اعرف ؟ لو اني اعرف لذهبت الى هناك وعثرت عليها بنفسي ، اعثر على ليسي واحضرها لي ثانية حتى وقت الامطار من صباح الغد اذا كنت تعرف ماهو صالحك .. واذا لم تفعل .. واذا كنت لا تعرف ..

اخذ جارلي تمعنه وخرج من الباب الامامي ، وسار في الطريق تجاه حي الزنوج في المدينة ، كان هذا هو المكان الوحيد المحتمل ان تختبيء فيه ليسي مالم تكن قد ذهبت الى الريف .

وفي الحال ، وبمجرد ان عبر اول بيت زنجي في الحي ، أحس جارلي شعور بان كل شخص في الحي يراقبه من خلف الابواب والنوافذ واركان الابنية . واستدار ملفتا رأسه بسرعة ، وحاول ان يضبط احدا يتجسس عليه ، ولم يكن هناك احد في اي مكان . وبدا المكان مهجورا تماما مقفل لنفسه

— ما كان في امكان ليسي ان تعرف احدا من هؤلاء الملونين . انها لم تترك البيت مطلقا ، ولم يحضر احد ابدا الى هناك لرؤيتها ، وان اندهش اذا لم يعرف احد سواي انا وزوجتي ، انها لاتزال حية — لا ، ليس في امكان ليسي ان تمشي الى هنا بين هؤلاء عندما تهرب

واستانف السير محاولا التفكير اين يمكنه البحث عنها . وقرر انه ما كان في مقدورها الذهاب الى الريف لانها راسها اعمق واعمق تحت دراعي وعلى كل فالمكان الآخر الوحيد بالنسبة لها لتختبيء فيه هو هذا الحي . واذا لم يجدها هنا ! ولكنه يعتقد أنه سيجدها مختبئة خلف امراة زنجية قد تكون أوتها .

كان جارلي قد قرر تقريبا العودة الى البيت وان يخبر زوجته انه قد بحث في كل بيت في الحي دون أن يعثر على ليسي ، ولكنه عندما توقف وشرع في العوده ، بدا يفكر ثانية فيما سيقول زوجته وتفعل ، وربما تركب رأسها وتطرده هو من البيت اذا عاد لها بدون ليسي .

وعندما استدار واستانف السير في احدى الحفرات وقع نظره على احد البيوت صدمة فطرق بابه وانتظر . لم يكن هناك أدنى صوت في اية مكان برغم وجود نار مشتعلة تحت اناء صغير في الفناء . خطا الى مدخل البيت ونظر الى الداخل . وفي ركن الغرفة كانت تجلس سيدة زنجية ضخمة تتارجح في مقعدها الى الامام والى الخلف بلا مبالاة وعلى حجرها تجلس ليسي محتضنة في ثنايا صدرها . كانت الصبية ملتصقة بالمراة ، مخفية ستكون اخوف من ان تقدم على ذلك . السيدة .

قال جارلي وهو يحملق فيها .

— هالو ايتها العمة جراسي ؟

فسألته العمة جراسي بصماء

— ما الذي تريده من هنا ؟

— كنت فقط ابحث

— فقط تبحث عن ماذا ؟

ـ حسن ! عن ليسي فيما أظن

ـ لن يبعدك هذا عن شيء ! ستضيع وقتك فقط بالحديث عن ذلك .

ـ الواقع انى لم اكن اعرف اين هي

ـ ولن يمنعك كذلك ان تعرف اين هي انك تستطيع ان تذهب وتحضر روحتك تلك انها ستبقى حيث هي .

جلس جارلي على مقعد بجوار الباب وقد سمت المرأة الزنجية ليسي بشدة واخذت تهزها الى الامام والى الخلف. ولم تنظر ليسي اليه بتاتا وقال جارلي

ـ الحق ان زوجتي كانت قاسية بعض الشيء على ليسي في السنوات الثلاث او الاربع الماضية ، اظن انها كانت اقسى قليلا مما يجب ان تكون

فقالت العمة جراسي

ـ لن تعود الطفلة ثانية لامها ستبقى معي هنا منذ الآن . يجب ان تخلعوا من انفسكم ايها الناس البيض لمعاملتكم الملونين هكذا ، انت تعرف جيدا وتدرك تماما انه ليس من العدل جعل ليسي تخدمكم طوال الوقت دون ان تعطوها سوى قليل من الثياب البالية المصنوعة من ثياب زوجتك القديمة بعد ان تستغني عنها وما يتبقى من فضلات في المطبخ .

ونهض جارلي الا تسرع العمة جراسي بعد ذلك في الحديث عن الطريقة التي كانت زوجته تصفع بها ليسي ومن ضربها لها بالمكنسة ، ونهى الا يعرف احد شيئا عن ذلك .

وقالت العمة جراسي

ـ عندما تعود الى البيت ، اخبر زوجتك اني اخذت ليسي واني سأحتفظ بها ، قل لها ان تأتي الى هنا بنفسها وراءها اذا شاءت ولكني لا اعتقد انها ستجرؤ لانها تعرف ان ما سأقوله لها سيجعل اذنيها يحمران خجلا ..

نهض جارلي والقى نظرة اخرى على ليسي . لم يدرك ابدا انها صغيرة الى هذا الحد من قبل ، سمع انها في التاسعة من عمرها وانها لا تبدو اكبر من طفلة في السادسة او السابعة من عمرها ، واتجه نحو الباب ولم يقل كلمة واحدة .

وفي الحارة ، خارج المنزل ، استدار ناحية باحة البيت . سيجيء في الغد وقت العشاء ، ان الوجبات تقدم في اوقات محددة ونظر الى ساعته ثم اسرع يقطع الشارع متأخر الحي . وفي الطريق الى البيت اخترق قطعة ارض فضاء حتى يتأكد انه سيصل الى البيت في وقت مناسب قبل الطعام .

كانت زوجته تقف في الشرفة الامامية تسأله عندما رأته

ـ حسن . هل وجدت ليسي ؟

فقال جارلي .

ـ ستعود قبل الامطار . لقد قلت لي ان هذا هو الوقت الذي يجب ان تعود خلاله .

الم تقولي ذلك .

ـ هذا هو ما قلته ، اذا لم تكن هنا حتى ذلك الوقت فيمكنك اذا ان تستعد لتقوم ببعض النشاط في مكان آخر .

فقال وهو يسرع خطاها مخترقا الردهة الى حجرة الطعام حيث التف الغرلاء حول المائدة

ـ سأبدل ثيابي حالا

واسرع جارلي الى الحجرة وجلس على مقعده دون ان يحظه احد . لقد وصل في الوقت المناسب ليلحق نصيبه من اول طبق يقدم على المائدة .